سورة النحل

obeikandl.com

﴿ سورة النحل ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ۝١ ﴾

ما يلقيه الحق سبحانه من أوامر مستجدة على عاتق العارف، فهو واقف ــ أى ذلك العبد ــ لما سيلقيه الحق عليه من حضرته من أوامر جديدة .

﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۝٢ ﴾

فلا تستعجل حقيقة تلك الأوامر أيها الإنسان الكامل، هل هى جلالية أم جمالية؟، هل هى ثقيلة أم خفيفة؟، وبمن تتعلق؟، واعلم أن العارف الكامل تشغله تلك الأوامر أيما شغل، فيتعلق قلبه بما هيتها، ويسأل ربه فيها اللطف والتخفيف عن الأمة، فيكون قلبه مستعجلاً لمعرفة ما فيها، لكونه النائب عن الله فى خلقه، فأمر الخلق يهمه أكثر من خاصة نفسه.

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ۝٢ ﴾

أى أن الأمر الإلهى المتنزل من قبل حضرة الأمر كما قال سبحانه: ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ لابد أن يكون هذا الأمر فيه سريان فى الأكوان بالنفاذ، ولذلك قيل: بالروح من أمره" فالذى يحرك الأمر هو الروح، فالأمر كالجسد ولا حراك له إلا بالروح السارى فيه، الذى يتمه فى الأكوان وينفذه، وكان الملائكة بالنسبة للأمر بمقام الروح منه، وذلك لأنهم المنفذون للأوامر الإلهية التنجيزية الباطنية فى الأكوان، فمنهم

القائم على إنبات الزرع، ومنهم القابض للأرواح، ومنهم الذى يتولى جريان الأنهار وسقوط الأمطار، ومنهم الحفظة .

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

أى ليس القديم كالحدث، وليس المُعِل كالعلة، وليس المُحْدِث كالحادث، وليس من سرت فيه أوصاف التغيير والتبديل وجرى فى جنباته ماء الحدث واحتوته العلل كمن صمد لكل هذا، وقام بالأشياء ولم يقم به شئ، وكان أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وليس كمثله شئ .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴿١٨﴾ ﴾

أى وإن تعدوا نعمة واحدة من نعم الله الظاهرة لا تحصوها، فكيف بنعمه الإجمالية الظاهرة والباطنة ؟

واعلم أيدنى الله وإياك بروح منه أن العدم المجرد هو الفقير المحض إليه سبحانه، ولما أخرجه الحق سبحانه ورأى ضعفه وافتقاره إليه رحمه فأخرجه من طور الضعف إلى طور الغنى، فأسبغ عليه نعمه، فطارت على العدم تلك النعم من حضرة الله وتلبست به، وهو لا يعرف قدرها تحققاً وإحصاءاً، وإنما يعرفها إنفاقاً لجحوده وجهله.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

أموات غير أحياء برغم حياتهم الجسدية، وذلك لاستيلاء الظلام على ذواتهم وأرواحهم، فمنعهم من الحياة الحقيقية وهى حياة الإيمان والمعرفة .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾

أى نقول له اظهر فى شاشة التجليات ــ أقصد ظهوره فى عالم الشهادة ــ بالتنجيز اللحظى، الحادثة أطواره فى عالم الحس .

واعلم أنه مهما وصف العارف "كن" فلن يعرفها، وإنما ليس له منها سوى اللفظ فقط، وهما الحرفان المتركبان من الكاف والنون، أما السر الباطن التنجيزى لها فإنما هو للحق سبحانه ومن العارفين من يعطى الإنجاز بسر اللفظ فقط، فيتم له الأمر الخارق، ومنهم من يرى التفاعل السارى فى الأعيان الذى بسببه ينجز السر بكن، وهم طبقة أرقى، أما السر الإلهى المحرك لعين الوجود الإجمالى فإنه من اختصاصات الإلوهية، ولم يكن إلا لحبيبه الأقرب أبى القاسم ﷺ ، فإنه عين الوجود وسره وخلاصته.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

من العارفين بالله لاطلاعهم على ما لم تطلعوا عليه، ولسريان أرواحهم فى الأكوان، ولتحققهم بالمعرفة الإلهية، فإن أنظاركم فى الكون قاصرة عن الوصول إلى ما وصلوا هم إليه من اطلاعهم على القضايا الكشفية العويصة .

﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

العلمين وهما علم الظاهر وعلم الباطن، ونحن مأمورون أن نسأل الكمل فيهما لكونهم أقرب الناس إلى الله تعالى فالكامل يعطيك علم الظاهر الحقيقى المحمدى الذى لا اختلاف فيه ولا اعوجاج، ثم يعرج بك منه إلى حقيقته الباطنية المرادة منه والمطلوبة منه، فإن الله

سبحانه لم يكن ليخلق ظاهراً بغير باطن يستند إليه، أما من ادعى أن العلم هو مجرد علم الظاهر فقط فهو جاهل محجوب عن الله تعالى

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴿٤٨﴾ ﴾

يتفيؤ أى تبدو ظلاله فى صفحات الوجود معبرة عن أجسام الأعيان وأشكالها وأحجامها، وهذا البدو للظل يكون تارة يميناً وتارة شمالاً، بحسب الزاوية التى يقع ضوء الشمس منها على الجسم، وذلك لكون الشمس تدور على أكثر من جهة من الجهات، فلذلك قد يقع هذا الظل على يمين الجسم أو عن شماله .

﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

أى أن الأجسام وظلالها تسجد لله عز وجل، فالجسم هو الحقيقة والظل هو الوهم، فالحقيقة والوهم كلٌ يسجد للخالق الأكبر سبحانه وتعالى عما يشركون .

فإنه سبحانه كما قال عن نفسه خالق كل شئ، فالوهم مخلوق، وكل شئ فى الوجود مخلوق عدا الحق سبحانه .

والوهم كما تحدث عنه عبد الكريم الجيلى فى الإنسان الكامل هو العالم الأكبر، وهو أعظم من عالم الأجسام، لكونه غير محصور بخلاف خصائص الأجسام فإنها محصورة فى قوالب الحس، والظل من عالم الوهم فأنت تراه ولا تلمسه، ومن عجائبه أن يكون أكبر من الجسم وقد يكون أصغر منه وأحياناً يماثله، وهذا العالم الوهمى إنما هو من باب الوسع الرحموتى، الذى وسع كل الأشياء رحمة وعلماً، فأهل الحس لما هربوا من عالم الحس إلى عالم الوهم والخيال حدثت

لهم الراحة والانطلاق الروحى، وهذا كمن يرى مناماً لطيفاً ويفيق قبل استكماله فإنه يكره رجوعه إلى عالم الحس، ويتمنى بقاءه فى عالم الوهم.

ولذلك كان عالم الجنة هو عالم الوهم الأكبر، فتبدو فيه من الصور والحقائق ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وبمجرد أن يخطر على بال أحدهم شئ فى عالم الوهم لا يلبث أن يتجسد أمامه حقيقة ملموسة فى الجنة.

فالجنة هى عالم الوهم المتجسد .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

سجوداً حسياً إرادياً، وسجوداً باطنياً لا إرادياً، لكون السجود حُكِى فى الآية على إطلاقه، فهو سجود مطلق لكل ما خلق الله .

فكل من آمن به سبحانه من بشر وملائكة وجن وجماد ووحوش وهوام وحيوان ونبات يسجد له سجوداً إرادياً.

وأما من كفر به فإنه يسجد له سجوداً باطنياً لا إرادياً بدون اختياره، وهذا له أصل فى السنة، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: ((**إذا أصبح ابن آدم قالت له أعضاؤه اتقِ الله فينا**)).

واللفظ فى الحديث مطلق، فإن الكافر تبغضه أعضاؤه فى الدنيا وتشهد عليه يوم القيامة بما كان يفعل، فهذا هو معنى السجود، وهوالطاعة الباطنية لله عز وجل، فإن ذرات الكافر تذكر الله وهى تتبرأ من فعله، إلا لما شهدت عليه لكونها تكرهه وتبغض أفعاله .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

وهو من باب الوحى العام، بخلاف الوحى الخاص الذى هو وحى النبوة، فإنه انقطع بموت محمد ﷺ، وإلى الوحى العام أشار الحق سبحانه بقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ ﴾ .

ومنه وحى الولاية الذى هو مستمر حتى قيام الساعة، وأنكر بعض المحجوبين على ابن عربى لما تكلم على هذا النوع من الوحى فى الفتوحات المكية .

وأقول لهم كيف تنكرون وحى الأولياء وتسلمون بوحى النحلة، فأيهما أكرم على الحق الولى أم النحلة؟

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾ ﴾

بل اضربوها لأنفسكم وكفاكم مجادلة .

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾ ﴾

أى لا تنظروا إلى الفناء الذى فى أيديكم، فإنه زائل بموتكم وتقسيم أموالكم ونسيان الورثة لكم وانشغالهم بذلك المال، بل انظروا إلى ما عند الله الذى هو باقٍ لكم، بل هو البقاء الحقيقى .

فإن المادة الحسية كتب الله عليها الفناء والعدم، بخلاف حقيقة العمل الصالح فإنه غير فانٍ، بل لأجله أقام الله القيامة ونصب الميزان وجعل جنة وناراً .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

لكونه لا دخول إلى حضرة الكلام الإلهى وفيها باطل، والشيطان باطل يجب طرده من تلك الحضرة العلوية المنزهة، ولا سبيل إلى ذلك الطرد إلا بالاستعاذة، لكونها الفاصل بين الحق والباطل .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

أى الأحرار الذين تخلصوا من رق الأغيار، ومن عبودية الأوزار، ممن لم يُكتب عليهم ذنب ولا معصية.

وصدق ذلك الصوفى الذى قيل فى حقه ــ وكان من السلف ــ أن الملائكة الكتبة لم يكتبوا عليه وزراً فى صحيفته منذ أربعين عاما .

وقال أحد السلف: والله ما لمست يمينى ذكرى منذ عشرين عاماً.

وقال أحدهم: والله ما فككت سروالى على غير ذى محرم منذ وعيت .

وقال أحدهم: ما تلفظت بلفظ إلا وأعددت له جواباً بين يدى الله عز وجل .

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

اعلم أن العلم الإلهى لا نسخ فيه أصلاً، وإنما وضع النسخ فى حقنا رحمة بنا منه، ورحمة بهيا كلنا الضعيفة وبأبداننا السقيمة .

فالنسخ وضع للحدث، ولا يصح للقديم أن ينسخ، إذ لا يجرى النسخ عليه، إذ هو المغير الذى لا يتغير، ومن دخل عليه النسخ فقد حل فى حقه التغيير .

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾

أى الكل سيجادل عن نفسه حتى الأنبياء بما فيهم أولو العزم، كما اخبر النبى الكريم عن ذلك ﷺ، حيث يقول كل نبى ورسول: نفسى نفسى، إلا نبينا محمد ﷺ فإنه يقول: أمتى أمتى، وإنما لم يدرج نبينا محمد ﷺ ضمن كل نفس تجادل عن نفسها، لكونه خرج عن طور الأنا وتذكره، وإنما تذكر هموم غيره فى ذلك الموقف العصيب ، فقال: يا رب أمتى أمتى، فلا يصح أن يطلق عليه نفس، لكونه لا يتذكر نفسه فى ذلك الموقف، بل يتذكر أمته، فأين النفس فيه وقد تذكرها غيره من إخوانه الأنبياء ؟

فهذا هو معنى إخراجه ﷺ عن دائرة النفس التى تجادل عن نفسها، لكونه لا نفس له ﷺ .

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

وهو مقام القطبانية والنيابة عن الله فى خلقه، إذ النائب عمله كعمل أهل زمانه، ولو قال لا إله إلا الله مرة، لأخذ ثواب أهل زمانه بتهليلة واحدة، ولذلك شفع الحق سبحانه هذا النائب فى أهل زمانه، سواء كان نبياً أو ولياً، ولذلك قال ﷺ عن عثمان:

((يشفع عثمان بن عفان يوم القيامة فى مثل ربيعة ومضر))

رواه الترمذى .

ومقصوده ﷺ أى عندما يبلغ النيابة عن الله ــ أى عثمان ــ سيقع له ذلك.

وكان من أقطاب الشفاعة شيخنا سيدى أحمد التجانى ﷺ شفعه الله

فى أهل عصره، ومنهم سيدى أحمد بن يوسف الملياني ﷺ شفعه الله فى أهل عصره.

ومنهم مولانا الحسين بن على كرم الله وجهه ووجه أبيه شفعه الله فى أهل عصره، له يقبل ويرد من يشاء .

ومنهم الصديق الأكبر مولانا أبو بكر الصديق ﷺ قال عنه الحبيب المصطفى ﷺ ((**لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبى بكر لرجح إيمان الأمة**)).

وكان من هؤلاء أبو يزيد البسطامى ﷺ شفعه الله فى أهل عصره، وهو القائل: " ما صفت لى تهليلة واحدة"، ولو صفت لما كان قطباً، لأنه يطلب الصدق فى صفاء تهليلة واحدة ولا يجد ذلك فى زعمه، وهذا من شدة إخلاصه فى الذكر، فإن تهليلة واحدة منه بتهليل أهل زمانه كلهم.

ومنهم ــ أى المشفعين ــ أبو بكر الشبلى قدس سره الذى قال عن حقيقة مقامه:" **لو شفعنى الله فى أهل النار لم يكن ذلك بكثير، وغاية الأمر أنه شفعنى فى قطعة طين** "، ويقول الشبلي: " **لو شئت أن أبصق على هذه النار لأطفأتها.**

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿١٢٧﴾ ﴾

أى سأصبر معك يا محمد، لكونى أنا الصابر الحقيقى، فصبرك بى ولأجلى، يقول سبحانه فى الحديث القدسى عن عزة هذا المقام:

((**أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر سواى**)) .